هو اعلم بمن ضل عن سبيله) فلا يمكن ارشاده باحد هذه الاوجه (وهو أعلم بالمهتدين) بوجه من هذه الوجوه (وان عاقبتم) بالطعن عليهم اذا لم يهتدوا بشئ من هذه الوجوه فطعنوا عليها (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لا ازيد بالمبالغة فى الطعن (ولئن صبرتم) على طعنهم فلم تطعنوهم (لهو خير للصابرين) فوق خير السكوت عنهم اذ فيه قلة مبالاة بطعنهم (و) الصبر وان كان جائزا فى حق غيرك لكنه واجب عليك (اصبر) وكيف لا يكون صبرك خيرا (وما صبرك الا بالله) واذا كان الصبر بالنفس خيرا فبالله بطريق الاولى (و) ان عسر عليك الصبر لما ترى من بقاء المطاعن عليك (لا تحزن عليهم) بيقاء مطاعنهم بل تظهر مطاعنهم (و) ان بالغوا فى التلبيس بها على العامة (لا تك فى ضيق مما يمكرون) فان الله تعالى يكشفها لك فكيف لا يكشف لك مع تقواك واحسانك (ان الله مع الذين اتقوا) فزكوا انفسهم (والذين هم محسنون) بتصفية قلوبهم لظهور الحق فيه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

*(سورة بنى اسرائيل)

سميت بهم لتضمنها ان هدى بنى اسرائيل مما تضمنه اسراء محمد صلى الله عليه وسلم قبل العروج الى السموات وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بتنزيهه فى عبده المنسوب الى ذاته الغالب فيها نظر التنزيه وان كانت متصفة بالصفات الثبوتية (الرحمن) باسرائه اليه ليصير أكمل رسله فتكون رحمته اشمل للخلائق كيف وقد أسرى الى موضع اجتماع البركات قبل وصوله الى السموات (الرحيم) باراءة آياته له ليريها لخواص خلقه فيجعلهم كاملين مكملين (سبحان الذى) أى سبح الله تسبيحه ذاته باعتبار ابهامها لعدم اختصاصها باسم خاص عما يتوهم فى قصة الاسراء من التشبيه كالتمكن وغيره (أسرى) أى سير بالليل لبشير الى انه سيرا ولا من الظاهر الى الباطن لتغلب عليه الروحانية لكمالها المقتضية لاضافتها الى غيب الهوية فى قوله (بعبده ليلا) وصرح بقوله ليلا ليشير الى أن ابتداء سيره وانتهائه لم يكونا بالنهار فهو مع تسييره ظاهره كأنه سير من باطن الى باطن اتم منه فى البطون (من المسجد الحرام) اذ نشأ من سجوده الخاص الذى حرم فيه الغير وحرم فيه رؤية الغير (الى المسجد الاقصى) ليشير الى احاطته باقصى مراتب غيره قبل وصوله الى السموات لاتصافه بانوار نبوتهم وولايتهم التى ظهرت هنالك على أقصى الوجوه اذ هو (الذى باركنا حوله) باشاعة انوارهما اشاعة كاملة تنسب الى مقام العظمة الالهية (لنريه) من مقام عظمتنا فيما فوق ذلك حينما فحينا (من آياتنا) الظاهرة فى المظاهر الكاملة للانبياء عليهم السلام ومقاماتهم من السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهى بل فوق ذلك بحيث يصير سمعه الحق وبصره (انه هو السميع البصير) من أعظم ما باركنا حوله باشاعة نور النبوة والولاية انا (آتينا موسى الكتاب) الجامع لاسرارهما (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) هداية خاصة الى توحيد الافعال (ألا تتخذوا من دونى وكيلا) من يعتمد عليه ليقتصر نظرهم على

ويجلل ويطعن فى شق سنامه الايمن بحديدة لتعلم انه هدى ولا القلائد كان الرجل يقلد بعيره من لحاء

فعل الله فى كل شئ وهى وان حصلت لهم من التوراة فليست موروثة من موسى ولا من سائر الانبياء لان ولاية النبوة لا تحصل لغير الانبياء وانما ورثوها من الاولياء وان بعد زمانهم حتى انهم ورثوها من أولياء قوم نوح لكونهم (ذرية من حملنا مع نوح) فكان نجاتهم كرامة لهم وان كانت معجزة لنوح فكرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولا يبعد ان يحصل لمؤمنى قومه هذه الولاية والكرامة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لله فلا ينسب شيأ من الكمالات الى نفسه تحقيقا لعبوديته والشكر يقتضى المزيد فاعطى مع النبوة وولاية النبوة الولاية العامة لامته حتى سرت بركتها الى أولادهم البعداء (و) مع ذلك هى ولاية قاصرة لا تفيد العصمة لذلك (قضينا) أى حكمنا حكما جازما فيما أوحينا (الى بنى اسرائيل) لا خفيا بل جليا (فى الكتاب لتفسدن فى الارض) أى أرض بيت المقدس التى بارك الله حولها فيكون الافساد فيها افسادا فى جميع الارض لا مرة بل (مرتين) مرة بقتل شعيا ومرة بقتل زكريا ويحيى (ولتعلن علوا كبيرا) على الانبياء بحيث لا تبالون بنبوتهم بالنظر الى ولايتكم كانكم ترونها افضل من نبوتهم كولاية الانبياء فكان ذلك كفرا مستوجبا للوعيد الدنيوى (فاذا جاء وعد) المؤاخذة على (أولاهما) اى أولى المفسدتين (بعثنا) قاهرين (عليكم عبادا) بختنصر او سنجاريب لم يضفهم الى نفسه لكفرهم ولكن لهم نوع اختصاص بنا اذ كانوا منتقمين (لنا) وان لم يقصدوا ذلك لكن هذا الاختصاص افادهم مزيد قوة فكانوا (أولى بأس شديد) حتى على الانبياء والمؤمنين ولم تقتصر قوتهم على الخارجين عن بيوتهم بل عمت من تحصن ببيوتهم (فجاسوا) أى طلبوكم (خلال الديار) أى أوساطها (و) هو وان كان وعيدا فى الظاهر بحيث يجوز التجاوز عنه (كان وعدا) بنصر من قتل من الانبياء فكان (مفعولا) بالجزم (ثم) أى بعد هذه المؤاخذة الشديدة (رددنا) عند توبتكم (لكم الكرة) أى الغلبة التى كانت لكم فى الاصل (عليهم و) جعلنا لكم مع القوة الباطنة قوة ظاهرة اذ (أمددناكم بأموال وبنين و) لم نقتصر على تكثير البنين بل (جعلناكم أكثر نفيرا) أجانب فصرتم بحيث تغلبونهم من كل وجه فعلنا ذلك لتعلموا انكم (ان أحسنتم) توبتكم وأعمالكم (أحسنتم لانفسكم) بابقاء الغلبة لها والامداد بالاموال والبنين وتكثير النفير وتيسير الامور الاخروية (وان أسأتم فلها) أى فاساءتكم ضارة لها بغلبة الاعداء وسلب الاموال والبنين والنفير فاخترتم الاساءة حتى جاء وعد المؤاخذة (فاذا جاء وعد) مؤاخذة المرة (الآخرة) بعثنا عليكم عباد الناطوس الرومى (ليسوؤا وجوهكم) بالاذلال والاسر بالسلاسل والاغلال (وليدخلوا المسجد) لتخريبه واحراق التوراة (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) أى وليهلكوا (ما علوا) أى ما علوتم به على الانبياء من دعوى الولاية (تتبيرا) عظيما اذ لم يفد دعاؤكم عليهم شيأ وانما فعل ذلك لتخاصوا توبتكم وأعمالكم (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم) بعد هذه التوبة الى العلو (عدنا) الى تسليط الاعداء وسلب الاموال والاولاد فى الدنيا (وجعلنا) يوم القيامة (جهنم للكافرين حصيرا) أى محبسا

شجر الحرم فيأمن بذلك حيث سلك (قوله عز وجل شوكة) أى حد وسلاح

حاجزا

حاجزا لهم لايخرج عنهم العائد الى الكفر بعد التوبة ولاغير العائد وتعذيب من أنكر القرآن أولى من تعذيب من أنكر التوراة لانها وان كانت هدى لبنى اسرائيل هداية خاصة فهداية القرآن أكمل (ان هذا القرآن يهدى للتى) اى للملة أو الشريعة أو الحكمة التى (هى أقوم و) لكمال هدايته (يبشر المؤمنين) به (الذين يعملون الصالحات) كلها (أن لهم أجرا كبيرا) فوق أجر من آمن بالتوراة وعمل بصالحاتها وان بلغ هدايتهم الخاصة (و) يبشرهم (أن الذين لايؤمنون) به فانهم وان آمنوا بالتوراة فهم لايؤمنون (بالآخرة) فلايؤمنون بدوام ربوبية الله عليهم (أعتدنا لهم) قبل وصولهم الى مكان انكار ربوبيته عليهم فيه (عذابا أليما) أشد من عذاب من أنكر التوراة (و) كيف لايعتد له العذاب الاليم مع استعجاله به اذ (يدع الانسان) استعجالا (بالشر) كالعذاب (دعاءه بالخير) كالثواب كان الشر عنده خيرا لابمقتضى عقله كاستحسانه الدواء المر (و) لكن بمقتضى ترك النظر اذ (كان الانسان عجولا) بترك النظر مع تيسره (و) لايبعد من الانسان ترك النظر مع كونه حاذقا كامل العقل اذ (جعلنا الليل والنهار آيتين) على وقوع الانسان فى ظلمة الجهل تارة ونور العلم أخرى (فمحونا آية الليل) بجعلها مظلمة ليعلم الانسان ان ظلمة الجهل وان افادته السكون الى اللذات الجسمانية فهى مانعة من اكتساب اللذات العقلية التى هى الفضائل (وجعلنا آية النهار مبصرة) لتميز الاشياء المحسوسة ليعلم الانسان ان نور العلم يفيد تميز المعقولات (لتبتغوا فضلا من ربكم) من اصلاح المعاش والمعاد (و) آية الليل وان كانت مانعة من طلب الفضل لكنها اذا ضمت الى آية النهار كانت مفيدة فى معرفة مقدار الحياة المشتملة على النعم اذ كانت (لتعلموا عدد السنين) لتحسبوا النعم الواقعة فيها لتشكروا ربها بمقدارها كيف (و) قد كانت لتعلموا (الحساب) لتعلموا ان الجزاء على مقدار ذلك الحساب كيف (و) لم نتركه مجملا بل (كل شئ فصلناه تفصيلا) شافيا (و) لايبعد كون الجزاء بمقدار العمل اذ (كل انسان ألزمناه طائره) أى عمله الذى يطير به الى مقام السعادة أو الشقاوة بان نجعله هيئة لروحه أو قلبه أو نفسه فهو كالتعويذ المكتوب (فى عنقه) لكنه الآن أمر معنوى (ونخرج له) بتصويره بصورة المكتوب (يوم القيامة) الذى تتصور فيه المعانى بالمحسوسات (كتابا) وهو وان كان اليوم كالمجمل (يلقاه منشورا) لااجمال فيه وهو وان كان غير مقروء قبل تصوره بصورة الكتاب لكنه اذا تصور يقال له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك لئلا نحتاج الى شاهد ولا الى حسيب بل (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) واذا كان عمل كل انسان يتصور بصورة جميلة أو قبيحة مع انها هيئة نفسه أو قلبه أو روحه (من اهتدى فانما يهتدى) مفيدا (لنفسه) الصور الجميلة (ومن ضل فانما يضل) بتقويت تلك الصور واستبدالها بالصور القبيحة (عليها و) لايتغير ذلك بتحمل الغير منه فانه (لاتزر وازرة وزر أخرى) فلا يتصور بالصورة القبيحة لتلك الاعمال وانما يتصور الغير بصورة زعم الحمل لها (و) لايبعد ان تصير الاعمال هيئة روحانية أو قلبية أو نفسية عن اعلام الرسل فانه يفيد تصورها بصورة العلم بكونها طاعة أو معصية ثم انقلابها بصورة الثواب والعقاب فانه

(قوله عزوجل شاقوا الله) أى حاربوا الله وجانبوا دينه وطاعته ويقال شاقوا الله أى صاروا فى شق غير شق المؤمنين (قوله

(ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يعلمهم ما يفيدهم صور الطاعة بصور العمل أو المعصية
وقبل ذلك انما يتصور بصورة العمل لا من حيث الطاعة أو المعصية اذ يكون من قبيل تكليف
الغافل وليس المراد غفلة من لا يبالى فانه سبب الاهلاك (و) لذلك (اذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها) أى متنعميها بالطاعة فغفلوا عن أمرنا (ففسقوا فيها) فتتصور أرواحهم
أو قلوبهم أو نفوسهم بالصورة القبيحة عن مخالفة الامر (فحق عليها القول) أى قول
العذاب بتصورهم بصور تقتضيه فعملنا بمقتضاها (فدمرناها) أى أهلكناها (تدميرا)
كليا بحيث لا يبقى لهم زرع ولا نسل (و) ليس هذا مما يقع نادرا فانه (كم) أى كثيرا
(أهلكنا من القرون) فضلا عن القرى لا فى الاعصار البعيدة جدا حتى يمكن ان يقال بتغير
السنة بل (من بعد نوح و) لم تكن مؤاخذتهم اتفاقية بل على المعاصى لا على بعضها
بحيث يرجى التخفيف بل على كلها ولا يعد اذ (كفى بربك بذنوب عباده خبيرا) ببواطنها
(بصيرا) بظواهرها وكيف يترك الله سبحانه مقتضى هيئات الاعمال ولم يترك مقتضى مباديها
بالكلية اذ (من كان يريد) الحياة (العاجلة) أى الدنيوية (عجلنا له فيها ما نشاء) لا كل ما يشاؤه
لئلا يدعى الالهية (لمن نريد) لا لكل مريد لئلا ينسب هذا الاثر الى ارادته (ثم) اذا تصور روحه
أو قلبه أو نفسه بما عمل (جعلنا له جهنم) فتلك الصور وان كانت باطنة (يصلاها) ظاهرا كما
يصلاها باطنا اذ يصير (مذموما) لا كذم سائر الاشياء اذ يصير (مدحورا) أى مطرودا (ومن
أراد الآخرة) فهذه الارادة (و) ان لم تستقل بالتأثير تؤثر اذ (سعى لها سعيها) الذى أمر الله به
كيف (وهو) يفيد صورة طاعة حين هو (مؤمن) اذ لا تتصور طاعة بدون المطاع (فأولئك)
وان لم يستقل سعيهم بافادة الصور الجميلة (كان سعيهم مشكورا) أى مستحسنا بالايمان
مع ارادة الآخرة فصار بحيث يفيد فيضان الصورة الجميلة على صاحبه وليس تأثير تلك
الصور يوم القيامة كتأثيرها اليوم بل (كلا) أى كل صورة (نمد هؤلاء) أى هيآت الاعمال
الصالحة بما يجعل الحسنة عشر أمثالها (وهؤلاء) هيئات الاعمال الصالحة بما يماثلها المماثلة
الباطنة التى كانت لها وليس ذلك المدد من أنفسها حتى يجب ازدياد تأثيرها كل يوم فى الدنيا
بل (من عطاء ربك) لها (و) هو وان لم يحصل لها فى الدنيا كان جائزا الحصول لها الا انه (ما كان
عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا وان كان متفاوتا بحسب استعداد المحل فان زعمت انه اذا لم يكن
من أنفسها يجب ان لا يتفاوت (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و) ان زعمت ان التفاضل
لو كان بحسب المحل لم يتفاوت المحل الواحد باعتبار الدنيا والآخرة يقال (للآخرة أكبر
درجات) من الدنيا فلا بد من وقوع أصل التفاوت (و) اذا جاز أصل التفاوت جاز التفضيل
فهى (أكبر تفضيلا) واذا رأيت هذا التفاوت بين الاشياء بل بين الشئ الواحد بحسب وقتين
(لا تجعل) عند رؤية التفضيل وان بلغ ما بلغ (مع الله) فى كمالاته (الها آخر) اذ لا يساويه
فى الكمالات فاذا سويت بينهما (فتقعد مذموما) بفقد التمييز ولا يقتصر عليه بل (مخذولا) أى
مطرودا عن الانسانية (و) كيف تجعل بمجرد التفضيل الها مع انه لم يفضله ايشاركه فى استحقاق

عزوجل نبر دبهم من خلفهم) أى طرد بهم من وراءهم أى افعل بهم فعلا من القتل يفرق من وراءهم من أعدائك

العبادة

العبادة بالانعام اذ (قضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) لاختصاصه بنعمة الايجاد للتنعم والمنعم (و) لو كان ثمة مستحق آخر بالانعام لكان الاولى بذلك الابوين لاختصاصهما بسببية الايجاد الذى هو أصل النعم لكنه انما قضى فيهما بان تحسنوا (بالوالدين احسانا) أتم من الاحسان الى سائر المنعمين لانه بحيث (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) اى ان تحقق بلوغ أحدهما أو كليهما الذى هو زمان الضعف وسخافة العقل والاستقذار فاظهر منهما ما تستقذره (فلا تقل لهما أف) وهو صوت يدل على التضجر (و) ان تكلما أو فعلا ما لا ترضاه (لا تنهرهما) أى لا تزجرهما (و) لو احتجت الى نهيهما (قل لهما قولا كريما) أى جميلا (و) لا تتكبر فى خدمتهما بل (اخفض لهما جناح الذل) أى بذلك المنسوبة الى الذل بتعاطى الافعال الذليلة على نهج المسارعة لا من ذلك فى نفسك بل (من الرحمة) أى رحمتك عليهما (و) لا تكتف برحمتك الفانية بل اطلب لهما الرحمة الباقية ولا تعتذر بعدمها عندك بل (قل رب ارحمهما) رحمة باقية كاملة (كما) أى كرحمتهما اياى للبقاء حين (ربيانى) تربية شاقة عن افراط الرحمة اذ كنت (صغيرا) ولا يكفى خفض الجناح فى الظاهر ولا ترك التضجر باللسان بل يجب موافقة الباطن اذ (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من الضجر والاستكبار على خلاف ما فى الظاهر لكنه يعفو عنه (ان تكونوا صالحين) أى تائبين عما فى الباطن مرة بعد أخرى (فانه كان للاوابين) أى الرجاعين الى الله بتوبة ظاهرة وباطنة (غفورا و) كيف لا يحسن الى الوالدين مع انهما أقرب الاقارب وقد قيل لك (آت ذا القربى) لم يقل القريب لان المطلق ينصرف الى الكامل والاضافة لما كانت لادنى الملابسة صدق ذو القربى على كل من له قرابة ما (حقه) فيه اشارة الى ان له حقا معينا بخلاف المسكين وابن السبيل (و) كيف لا تؤتى ذا القربى وقد أمرت ان تؤتى (المسكين) من الاباعد ففى الاقارب مع الصدقة صلة الرحم والفقير يفهم بطريق الاولى لانه أسوأ حالا منه (و) كيف لا تؤتى المسكين مع انه من أهل بلدك ففيه نوع جوار وقد أمرت ان تؤتى (ابن السبيل) مع كونه أبعد من جوارك وبالجملة أمر بالاحسان الى من ليس بمنعم فكيف تترك الاحسان الى المنعم (و) لكن ليس منه التبذير (لا تبذر تبذيرا) بوجه من الوجوه بالانفاق فى محرم أو مكروه أو على من لا يستحق فتحسبه احسانا الى نفسك أو غيرك (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) فى كفران نعمة المال بصرفه فى المحرم والمكروه والى غير المستحق (و) كيف لا يكونون اخوان الشياطين وغاية أمر الشيطان انه (كان الشيطان لربه كفورا) بتغيير حكمته (واما تعرضن عنهم) أى وان تحقق اعراضك عن تريد الاحسان اليهم (ابتغاء) أى طلب (رحمة من ربك) فى المنع عنهم لئلا يقعوا فى التبذير بصرف المعطى الى شرب الخمر أو الزنا لا متوهمة بل مظنونة بحيث (ترجوها) لهم لما عرفت من عاداتهم (فقل لهم) فى الدفع (قولا ميسورا) أى سهلا عليهم احسانا اليهم بدل العطاء لهم فلا تقل لهم منعتكم لما أخاف عليكم شرب الخمر أو الزنا ثم نهى عن الاعراض للبخل مع الامر بالاعراض مخافة البسط المفرط فقال (ولا تجعل يدك مغلولة) أى مقبوضة كانها مغلولة (الى عنقك ولا تبسطها) ولو بلا تبذير (كل البسط فتقعد) أى تثبت

ويقال شردبهم أى سمع بهم بلغة قريش (قوله عزوجل شفا جرف) وشفا جرف وشفا البئر والوادى والقبر وما أشبهها وشفيره

(ملوما) بالفقر (محسورا) أى مكشوفا فليس لك ما يستر لك عن السؤال والبسط وان كان من الاخلاق الالهية فالقبض من أخلاقه أيضا (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وان لم يتوجه اليه لوم ولا خسر (انه كان بعباده خبيرا) ببواطنهم (بصيرا) بظواهرهم (و) لما وجب ايتاء ذى القربى والمسكين وابن السبيل لحفظ أرواحهم فالاولاد بحفظ الارواح أولى (لا تقتلوا أولادكم) سيما اذا كان منشؤه (خشية املاق) أى فقر فى المستقبل بالانفاق عليهم اذا كبروا (نحن نرزقهم) أى نحن المختصون باعطاء رزقهم فى الصغر والكبر (وايا كم) الآن باغنائكم (ان قتلهم) للاملاق الحاضر والخشية فى المستقبل (كان خطأ كبيرا) لافضائه الى تخريب العالم وأى خطأ أكبر من ذلك ولما نهى عن قتل الاولاد نهى عن قطع النسل فقال (ولا تقربوا) مكانا يمكن فيه (الزنا) فضلا عن فعله (انه كان) عند جميع الخلائق معصية (فاحشة) مجاوزة الحد فى القبح توجب النفرة عن صاحبه والتفرقة بين الناس (وساء سبيلا) لقضاء الشهوة التى خلقت لطلب النسل بتضييعه ثم ذكر ما هو أعظم فى التنفير والتفرقة فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها وهى نفس الانسان فان الله حرم قتلها (الا بالحق) أى بالحكم الشرعى كالقصاص والارتداد وزنا المحصن وقطع الطريق بالقتل والحرب والبغى (ومن قتل مظلوما) بغير حق يؤخذ حقه فى الآخرة أو فى الدنيا (فقد جعلنا لوليه) مع عدم كونه مظلوما (سلطانا) بطلب القصاص أو الدية على القاتل لا على متعلقه فلو قتل كان مظلوما (فلا يسرف) ولى المقتول (فى القتل) بقتل غير القاتل (انه) أى المقتول (كان منصورا) بتسليط وليه على قاتله لكونه مظلوما ثم نهى عن قتل النفس بالتجويع سيما نفس اليتيم العاجز عن الكسب فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن أكله بجهة من الجهات (الا بالتى هى أحسن) هى حفظ ماله وتنميته فاقربوه بتلك الجهة (حتى يبلغ أشده) أى زمان قوته على حفظ المال وتنميته وهو زمان البلوغ بالسن والاحتلام أو الحيض أو الحبل ثم ذكر حفظ العهد الذى به انتظام أمور البالغين فقال (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) بان يتصور بصورة حى فيسئل من حفظك فحفظه ومن ضيعك فضيعه ثم ذكر ايفاء الكيل والوزن لانهما فى معنى عهد أن لا ينقص من حق الاخوان شئ فقال (وأوفوا الكيل) لا عند الاخذ فانه يكون استدراجا الى أخذ الزيادة مع ان التسامح فيه أولى لكن (اذا كلتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الذى لا يميل الى جانب (ذلك خير) من نقص حق الغير فى افادة البركة فى الدنيا (وأحسن تأويلا) أى عاقبة اذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة ثم أمر برعاية القسطاس المعنوى (ولا تقف) أى ولا تتبع (ما ليس لك به علم) فى قول أو فعل تسنده الى سمع أو بصر أو عقل (ان السمع) قدمه لان أكثر ما ينسب الناس أقوالهم اليه (والبصر) لم يذكر سائر الحواس اذ لا يخالفها قول أو فعل (والفؤاد) أخره لانه منتهى الحواس (كل أولئك) أى كل واحد من هذه الاعضاء (كان عنه) أى عما نسب اليه (مسئولا) ليشهد على صاحبه (و) اذا اتبعت العلم وهو يدعو الى التكبر (لا تمش) مع كونك (فى الارض) التى هى

أيضا أى حاقنه (قوله عز وجل شغفها حبا) أى اصاب حبه شغاف قلبها كما تقول كبده اذا أصاب كبده ورأسه اذا أصاب

غاية السفل (مرحا) أى تكبرا أو اختيالا اذ لا يفيدك قوة ولا علوا (انك لن تخرق الارض) بشدة وطئك ودوسك (ولن تبلغ) بهذه المشية المتطاولة (الجبال) من الجمادات (طولا) تعلو به على الخلائق علوها (كل ذلك) المذكور من المنهيات صريحا أو فى ضمن الامر باضدادها (كان سيئة) فى نفسه ولا يفيد رضا الله اذ كان (عند ربك مكروها) اما الشرك فلاخلاله بالكمال المطلق الذى لا يتصور مع الشرك اذ معه يصير كالا بالاضافة الى بعض الاشياء دون جميعها واما عبادة الغير فلما فيها من تعظيمه المخصوص بذى الكمال المطلق فهو فى معنى الشرك وأما العقوق فلانه كفران نعمة الابوين فى سببية الايجاد ومنع الحقوق بالبخل تفريط والتبذير والبسط افراط وهما مذمومان والذميم مكروه والقتل يمنع الحكمة من بلوغها الى كمالها والزنا واتلاف مال اليتيم فى معناه ونقض العهد مخل بنظام العالم وكذا اقتفاء ما لا يعلم والتكبر من خواص الحق وعادة الملوك كراهة ان يأخذ أحد شيأ من خواصه (ذلك) أى جميع ما ذكر أكمل ما يعتقد به ويعمل به لانه (مما أوحى اليك) يا أكمل الرسل (ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية (من الحكمة) أى العلم المحكم الذى لا يتغير بشبهة (ولا تجعل) بقبول ما يخالفها (مع الله الها آخر) بتسوية غيره بها فانه شرك فان لم يكن فلا أقل من ان يوجب الالقاء فى النار (فتلقى فى جهنم ملوما) بالجهل العظيم بتسوية غير الله مع علم الغير (مدحورا) أى مبعدا عن رحمته بعد المشركين وكيف تسوون علم آبائكم القائلين بأن الملائكة بنات الله بعلم الله بل تفضلون علمهم على علمه وخواصهم على خواصه (أ) تزعمون ان الله فضلكم على نفسه (فاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة) بنات لنفسه مع نقصها بكونها (اناثا) فى زعمكم (انكم لتقولون) فى تفضيل علمكم وخواصكم على علم الله وخواصه (قولا عظيما) انما قلنا ان اختيارهم لعلم آبائهم لتفضيلهم اياه على علم الله لانه لم يكن لخفاء علمه وظهور علمهم عندهم فانه (لقد صرفنا) أى وجهنا البيان بوجوه كثيرة (فى هذا القرآن) المشتمل على جوامع الكلم (ليذكروا) أى ليذكر كل واحد بوجه ما (وما يزيدهم) أى التصريف (الا نفورا) أى تباعدا من المطلوب الذى يقربه وجوه البيان (قل) للقائلين ان الملائكة بناته هذا مستلزم للشرك وهو باطل اذ (لو كان معه آلهة كما) يلزم مما (تقولون) انهم بناته (اذا) وان كانوا تحت يده وتصرفه (لابتغوا) أى لطلبوا (الى) مغالبة (ذى العرش) للاستيلاء على عرش ملكه (سبيلا) اذ لو عجزوا لم يشبهوا آباءهم فيلزم ان يعجز معهم لكنه (سبحانه) من ان يعجز (وتعالى عما يقولون) من المشاركة والولادة المخصوصة بالحيوانات (علوا كبيرا تسبح له) أى تدل على تنزيهه (السموات السبع) كل بما فيها من كمال الحكمة (والارض) بما فيها من عجائب التكوين (ومن فيهن) من الملائكة والانس والجن المشتملين على أنواع الكمالات فهذا هو التسبيح بلسان الحال ولبعضها بلسان المقال أيضا (وان من شئ الا يسبح) بلسان الملكوت ملتبسا (بحمده) مما ظهر فيه (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاقتصار نظركم على عالم الملك (انه كان) فى ذمكم اياه بلسان المقال باثبات الشركاء له والاولاد

رأسه والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهى علقة سوداء فى صميمه وشغفها حبا أى ارتفع حبه الى أعلى موضع

(حليما) بترك الاستعجال لكونه (غفورا) أى ساترا عنكم تلك المحامد (و) كيف يفقه من لا يؤمن بالملكوت ما فى فيها فلم يخرج الى الملك مع انك أيها الملكوتى الخارج الى الملك (اذا قرأت القرآن) الذى هو ملكوتى خارج الى الملك (جعلنا) عند غلبة الملكوتية عليك (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) الملكوتية (حجابا مستورا) عن أعينهم فلا يرونك ولا الحجاب الذى بينك وبينهم عن سعيد بن جبير لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأته بحجر لترضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبى بكر فسألته أين صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال والله ما ينطق بالشعر فقال ما رأتك يا رسول الله فقال لم يزل ملك بينى وبينها (و) لكون القرآن ملكوتيا وهو يقتضى الحجاب على من لا يؤمن بالملكوتية (جعلنا على قلوبهم أكنة) أى حجبا كراهة (أن يفقهوه) لان فقهه كشف للحجاب (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا يمنعهم من سماع ألفاظه الداعية الى فهم معانيه كيف (و) هم يتنفرون عن معانيه فانه (اذا ذكرت ربك فى القرآن) الجامع دلائل توحيده بجعلنه الها (وحده ولوا) أى صرفوا وجوههم جاعلوها (على أدبارهم نفورا) أى لاجل التباعد عنه فان لم يولوا أدبارهم (نحن أعلم بما يستمعون به) من كونه ألفاظا متفرقة فى الظاهر (اذ يستمعون اليك) أيها المظهر انتظامها على وجه معجز (واذ هم نجوى) اى وحين يشير بعضهم الى بعض طلبا للانصاف فيصرون على الظلم (اذ يقول الظالمون) لاهل العدل (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن فاختلط كلامه (انظر كيف ضربوا لك) يا أكمل الخلائق عقلا وكشفا وبلاغة (الامثال) بالمسحور والمجنون والمختلط كلامه (فضلوا) عن اعجاز القرآن ضلالا بعيدا (فلا يستطيعون سبيلا) الى مباديه فضلا عن اقاصيه (و) لم يقتصروا على ضرب الامثال لك بل ضربوا لنا أمثال العاجزين اذ (قالوا أئذا) أى انبعث اذا (كنا) بعد مصيرنا ترابا و (عظاما و) ربما لا يبقى عظامنا بل صارت (رفاتا ائنا لمبعوثون) أى ايتحقق حينئذ كوننا مبعوثين فان تحقق كنا (خلقا جديدا) لا معادا (قل لو صرتم ما هو أبعد فى قبول الحياة من العظام والرفات فالبعث متحقق (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر) أى يعظم تحجيا حصول الحياة له فانما يكبر ذلك (فى صدوركم) لا فى صدور من عرف الله بكمال القدرة والعلم والحكمة فاذا سمعوا ذلك (فسيقولون) بعد لزوم الحجة عليهم (من يعيدنا) ولا قدرة لاحد على الاعادة (قل الذى فطركم) أى أوجدكم (أول مرة) من العدم الذى هو أبعد من قبول الصفات الوجودية فاذا سمعوا ذلك (فسينغضون) أى يحركون ناظرين (اليك) أيها المقيم للدلائل الكاشف للشبه (رؤسهم ويقولون) استهزاء (متى هو) مع انه لم يتحقق فى الادوار الماضية (قل عسى) أى قرب رجاء (أن يكون قريبا) وكيف يبعد مع انه انما يتوقف على دعوته ولا يقع منه حتى يستبعد فيكون (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) على كمال قدرته وحكمته وعلمه (و) ليس هذا تقريبا عقليا فقط بل (تظنون) أى تعتقدون (ان لبثتم) فى الدنيا والبرزخ (الا قليلا) لطول ذلك اليوم عليكم (وقل لعبادى) الذين يريدون تقريب أصحابهم الى الصواب كأمر البعث (يقولوا) فى النصيحة الكلمة (التى هى أحسن)

وان

من قلبها مشتق من شعاف الجبال اى رؤس الجبال وقولهم فلان مشعوف بفلانة أى ذهب به الحب أقصى المذاهب (قوله

وان كان غيرها افيدمثل ان يقولوا الابد لافعال المكلفين من الجزاء وهو متوقف على البعث لا ان يقولوا الابد للكفرة والفجرة من الاحراق بالنار أبدا أو مدة فانها مغضبة لهم وهو داع الى التقاتل والتضارب والشيطان معين فيه (ان الشيطان ينزغ) أى يتردد لايقاع العداوة (بينهم) ليصير بعضهم عدو البعض كما انه عدوهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) فيعادى الناصح والمنصوح له ولا حاجة الى احتمال هذه الاذية منه فى النصيحة بالايمان والاعمال الصالحة باظهار الشدة فيهما اذ (ربكم أعلم بكم) أى باستعداداتكم لا بطريق الايجاب بل (ان يشأ يرحمكم) من غير اظهار شدة من الناصح (أو ان يشأ) مع التشديد (يعذبكم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (و) لو لم يكن فيه أذية من الشيطان فلا حاجة اليه فى تبليغ الرسالة لانا (ما أرسلناك عليهم وكيلا) يصلح شأنهم البتة ومجرد كونك ناصحا لهم وان كان يغضبهم ويفضى الى القتال لما فيه من تفضيلك عليهم مع رؤيتهم انك دونهم حتى قالوا الم يتخذ الله لهذا الشان الا يتيم أبى طالب والعراة والجوع لصحبته فانه لاعبرة به اذ لابد من ناصح (و) التفضيل من أجله ليس بايديهم لجهلهم بل بيد الله اذ (ربك أعلم بمن فى السموات والارض) وقد علم انه لا ناصح انصح فيهم العباده من محمد صلى الله عليه وسلم (و) لا يبعد من تفضيله عليهم فانه (لقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وهم أكابر الناس (و) ليس بمبتدع فانه فضل داود على كثير تقدمه اذ (آتينا داود زبورا) يشتمل على الحكمة وفصل الخطاب (قل) ان كان لكم الفضل فاصله بالعقل الجالب للمنافع الدافع للمضار وهو أهم (ادعو) لكشف الضر أو تحويله (الذين زعمتم) انهم آلهتكم يجرون اليكم المنافع ويدفعون عنكم المضار وان كانوا (من دونه فلا يملكون كشف الضر) باعدامه (عنكم ولا تحويلا) له منكم الى غيركم فان ملكوا ذلك وبلغوا فيه من الكمال ما بلغوا (أولئك الذين يدعون) ابعد درجتهم فى ذلك بزعمهم فى ذل العبادة اذ (يبتغون الى ربهم الوسيلة) بالعبادة اذ يحرصون فى ان (أيهم أقرب) اليه (و) لا يقتصرون على طلب التقرب بل هم أدنى اذ (يرجون رحمته) ليكملوا (ويخافون عذابه) لئلا يلحقهم النقص (ان عذاب ربك) وان عمت تربيته للكل (كان محذورا) للكل حتى المقربين اذ لا يخلو عن عموم بطريق الابتلاء (و) لذلك (ان) أى ما (من قرية) صالحة أو طالحة (الا نحن مهلكوها) باماتة أهلها أو استئصالهم لا لافناء العالم الدنيوى بل (قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) بالقتل والاسر والقحط والاحراق والاغراق أو غير ذلك اذ (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) ليعلم ان المخلوق لا يخلو من قهر (و) لو قيل ان كان لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا الفضل لارسل الله كل آية تقترح عليه قيل لهم ليس المانع من ارسالها عدم فضله بل وقوع العذاب المحذور قبل يوم القيامة فانه (ما منعنا أن نرسل) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالآيات) المقترحة (الا) لاجل (أن كذب بها الاولون) الذين يتبعهم هؤلاء بعدما عذبوا فقهم ان يتبعوهم فى عذابهم (و) لم يمنعهم من التكذيب كون الآيات مقترحة فانا (آتينا ثمود الناقة) المقترحة آية (مبصرة) لا مجال لتوهم السحر فيها (فظلموا بها) أى بذبحها الذى

(الشجرة الملعونة فى القرآن)
هى شجرة الزقوم (قوله
عزوجل شاكلته) أى
ناحيته وطريقته ويدل
على هذا قوله فربكم اعلم

هو أشد من التكذيب فعذبوا في الدنيا لذلك وكيف لا يعذب مكذب بالآيات المقترحة في الدنيا (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) من العذاب الدنيوي فلا بد من وقوعه ليخاف وعيد عذاب الآخرة (و) لوجوب وقوع الوعيد الدنيوي اذكر (اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أي بقريش ليقهرهم وينصركم عليهم فانه وقع ذلك على خرق العادة تصديقا للوعيد (و) كيف لا يقع ذلك اذا كان في اليقظة وقد وقع منه ما كان في المنام وانما وجب وقوع ما في المنام من الوعيد لانا (ما جعلنا الرؤيا التي أريناك) بأن هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (الا فتنة) أي اختبارا (للناس) هل يؤمنون بها فيخافون أم لا (و) كما وقع الوعيد الدنيوي يقع الاخروي لما فيه من الاختبار فانا ما جعلنا (الشجرة الملعونة) أي المذمومة ذما بليغا لكونه مذكورا (في القرآن) المشتمل على جوامع الكلم الا فتنة للناس قال أبو جهل ابن أبي كبشة يخوفنا بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها الشجرة وقال عبد الله بن الزبعرى يخوفنا بالزقوم ولا نعرفه الا الزبد والتمر (ونخوفهم) أيضا بوجوه ليس فيها ما بعد اختبارا (فما يزيدهم) تخويف من التخويفات (الا طغيانا كبيرا) فلو أرسلنا اليهم الآيات المقترحة لقالوا انه أجل من أحاط بأبواب السحر فلا فائدة في ارسالها سوى تعجيل العذاب الدنيوي لكنه ينافي اظهار دينه على الدين كله ثم أشار الى أنه لو لم يظهر لك من الفضل ما ظهر لهم لوجب عليهم ان ينقادوا لامر الله الذي تضمنه الآيات المخوفة لهم من مخالفتك فقال (واذ قلنا للملائكة) الذين ظهر من فضل جوهرهم مالم يظهر لآدم (اسجدوا لآدم فسجدوا) ترجيحا لامر ربهم على ما ظهر من فضل جوهرهم (الا ابليس) رجح ما ظهر من فضل جوهره على امر ربه (قال أأسجد لمن خلقت طينا) واعترض على ربه بتفضيل آدم عليه السلام اعتراضكم عليه بتفضيل يتيم أبي طالب عليكم حيث (قال أرأيتك) أي اخبرني لم كرمت علي (هذا الذي كرمت علي) ثم أظهر عداوته له ولذريته عداوتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين حيث قال (لئن أخرتن) أي أخرت بقائي بلا تعذيب (الى يوم القيامة لاحتنكن) أي لاستأصلن (ذريته الا قليلا) فكان ذلك سبب زيادة ابعاد الحق اياه ومن تبعه حيث (قال اذهب فمن تبعك منهم) اتبعناه اياك في عذابك من غير نقص (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) فيخاف ان يكون عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سبب مزيد ابعاد الحق اياكم ثم ان قتالكم مع محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كقتال ابليس مع آدم وذريته حيث قال تعالى له (واستفزز) أي استخف (من استطعت منهم بصوتك) أي بوسوسك بلا شبهة (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي الشبهات القوية والضعيفة ثم أشار الى ان مشاركتهم في الاموال بانفاقها على من يعادي محمدا صلى الله عليه وسلم وفي الاولاد بمنا كحتهم به كمشاركة ابليس مع من تبعه من ذرية آدم فيهما ذاك له تعالى (وشاركهم في الاموال) كالمكاسب المحرمة والانفاق في الفسق ومنع الزكاة والبحيرة والسائبة (والاولاد) بالتوصل اليه بالسبب المحرم ودعوى النسب بلا سبب والتسمية بعبد الحرث وعبد العزى ثم أشار الى ان دعوى وعد بعضهم لبعض بالخيرات على

من هو أهدى سبيلا أي طريقا ويقال على شاكلته أي خليقته وطبيعته وهو من الشكل يقال لست على شكلي وشاكلتي

عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كوعد ابليس اذ قال تعالى له (وعدهم) بشفاعة الآلهة وتقريبها الى الله زلفى والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر (و) بعض هذا وان كان حقا فليس بعام الوقوع فحينئذ (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو تزيين الباطل بزينة الحق ثم أشار الى أن المؤمنين لا يغترون به فقال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان و) لا يتضررون بعداوته اذ (كفى بربك وكيلا) أى حفيظا لهم كيف وقد توكل حفظكم فى البحر اذ (ربكم) هو (الذى يزجى) أى يجرى (لكم الفلك فى البحر) ولا يبعد ان يحفظ من خطر ما أوقعه فيه لافادة الريح اذ حملكم على البحر (لتبتغوا من فضله) الذى لا يعتاد نيله فى البلد فكذلك أركبكم بحر الوساوس الشيطانية على سفن الافكار لريح العلوم اذا سلمتم عن الاخطار بقوة الاخلاص (انه كان بكم) فى حملكم على الاخطار (رحيما) يفيد الرحمة الخاصة (و) من الرحمة الخاصة فى خطر البحر افادة الاخلاص بعد الشرك فانه (اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه) كذا من مسه ضر المعصية من بحر وسواس الشيطان فتألم به التجأ الى التوبة والاستغفار وترك الاهوية الفاسدة فيفيد النجاة عنها ثم النجاة عن خطر البحر موقع فى خطر الاعراض فان الدعاء بالاخلاص أفاد النجاة (فلما نجاكم) عن خطر البحر وأوصلكم (الى البر أعرضتم) كذلك الناجى عن خطر الوسواس واقع فى خطر الغفلة عن الله (و) كان لواجب فى شكر الانجاء الزيادة فى أعمال الخير اذ حصل لكم الامن من مس الضر فى البر لكن (كان الانسان كفورا) بالاعراض فضلا عن زيادة الاعمال (أ) أعرضتم (فأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) كذلك الانجاء من الشيطان موجب لخطر خسف النفس باهويتها (أو) أن (يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة من السماء من غضب الله على الاعراض عنه كذا يخاف على المعجب به عند عدم المعصية وليس هذا الخسف وارسال الحاصب مما يرجى بعده النجاة بل (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم أأمنتم من جانب البر من كل وجه (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أى فى البحر بأن يحوجكم الى ركوبه (تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا) أى كاسر السفينة (من الريح) ويكون الكسر فى وسط البحر (فيغرقكم) غرقا لا ترجون معه النجاة (بما كفرتم) عند النجاة عن مثله فى المرة الاولى (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) من يطالب لكم علينا مثل من يطالب على مغرق سوانا كذلك يخاف من النجاة عن وسواس الشيطان الوقوع فى بحر معارضة الوهم والخيال من ريح التشابه فيكسر سفينة الدلائل فيغرق فى بحر الضلال بحيث لا يجدون حجة أصلا (و) كيف لا يكون الانسان كفورا مع ان اعراضه عمن لم يزل مكرما له منعما عليه فانه (لقد كرمنا بنى آدم) بتعليم العلوم تكريم آدم بتعليم الاسماء (و) أنعمنا عليهم بتسخير الحيوانات والجمادات مثل السفينة والريح والبحر اذ (حملناهم) على الحيوانات (فى) سفر (البر و) على السفن فى سفر (البحر و) لم يكن ذلك اتعابا لهم محضا اذ (رزقناهم) فى السفرين (من الطيبات) مما ليس فى أوطانهم وأعطيناهم من الطيبات مما لم نعطه سائر الحيوانات (و) لم نقتصر

(قوله شططا) أى جورا وعلوا فى القول وغيره (قوله شتى) أى مختلف (وقوله عزا مما من نبات شتى) يقال مختلف الالوان فى الطعوم (قوله نجيرة

فى اكرامهم وانعامهم على ذلك بل (فضلناهم على كثير ممن خلقنا) من الملائكة (تفضيلا) حتى فضل عوام المسلمين من بنى آدم على عوام الملائكة وخواصهم على خواصهم وانما تظهر هذه الفضيلة ويكمل هذا الاكرام والانعام ويحصل جزاء كفران من كفر بذلك (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أى بالاضافة الى امامهم الذى أفادهم هذه الفضائل أو اداهم الى الكفران بها ليشاركوه فى فضائله أو رذائله مع مايحصل لهم مما كتب عليهم (فمن أوتى كتابه بيمينه) لكونه قويا غلب عقله على هواه فتظهر قوته فى قراءة كتابه (فأولئك يقرؤن كتابهم) مرة بعد أخرى بألسن فصيحة وأعين مفتوحة (و) انما أمروا بقراءته ليعلموا انهم (لايظلمون فتيلا) أى مقدار خيط (ومن) أوتى كتابه بشماله لضعفه عن مقاومة هواه لا لان الله لم يعطه قوة تلك المقاومة بل لانه (كان فى هذه) الدنيا الداعية الى متابعة الهوى (أعمى) عن ضررها فانه لا ينطلق لسانه ولو انطلق لاينفتح له عيناه (فهو فى الآخرة أعمى) وان كان حديد البصر (و) لو أبصر لم يجد الى التقصى مجالا لانه (أضل سبيلا و) كيف لايفيد اتباع الهوى العمى وقد كاد حبك ايمانهم يعمى بصيرة الوحى منك (ان كادوا ليفتنونك) أى انهم قاربوا افتتانك بايمانك (عن الذى أوحينا اليك) بالتغيير فيه لايحصل لهم الهداية من ذلك الغير ل(لتفترى علينا غيره) بجعل الوعد فى مكان الوعيد (واذا) أى افتريت علينا غيره (لاتخذوك خليلا) فآمنوا بك مع علمهم بانه مفترى من عندك وهو موجب الكفر والبغض (ولولا أن ثبتناك) على الايمان والبصيرة باعلام ان فى ذلك كفرك وكفرهم (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا) من الميل من عمالك بحبك ايمانهم ولم يكن يفيدك ذلك شيأ بل كان يضرك فى الدارين (اذا لاذقناك ضعف) عذاب (الحيوة) الذى حصل لمن مضى من الكفار (وضعف) عذاب الكفار بعد (الممات) لان بصيرتك أكمل من بصيرتهم فيتضاعف عذابك بمقدار مايفوتك من فوائد بصيرتك (ثم لاتجد لك علينا نصيرا و) مما يشبه العمى الطمع فى أموالهم وايمانهم (ان كادوا ليستفزونك) أى ليحركونك (من الارض) التى تساكنهم (ليخرجوك منها) اذ قالت اليهود يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا الى الشام وهو مهاجر ابراهيم فلو خرجت اليها لآمنا بك ولم يقصدوا بذلك ارشاده بل ان يبقى لهم الرياسة بمكانهم (واذا لايلبثون خلافك) أى لايبقون بعد اخراجك فضلا عن بقاء رياستهم (الا) زمنا (قليلا) وليس ذلك مختصا بك حتى يستبعد بل كان (سنة) أقوام (من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) كلهم لما أخرجوهم من بلادهم لم يبقوا بعدهم (و) هى وان لم تكن موجبة لكن (لاتجد لسنتنا تحويلا) ولو أردت الهجرة الى مكان الانبياء فاعمل اعمالا تبلغك أعلى من مكانهم (أقم الصلوة) للاستنارة بنور ربك (لدلوك) أى لرؤية زوال (الشمس) والمراد صلاة الظهر والعصر والمغرب بل تبقى فى الارتفاع الذى يكمل فيه الاستنارة بنور الرب منتهيا (الى غسق) أى ظلمة (الليل) فتصلى فيها العشاء بعد غروب الشفق لئلا تعود الى ظلمة البشرية (وقرآن) أى صلاة (الفجر) التى يطال فيها القراءة وانما أطيلت فيها لان الفجر وقت صعود ملائكة الليل بالاعمال ونزول ملائكة النهار بالبركات

الجلد) أى من أكل منها
لايموت (قوله شاطئ الوادى)
وشطه الوادى سواه (قوله
تعالى شاخصة أبصار الذين
كفروا) أى مرتفعة
الاجفان لاتكاد تطرف

(ان

(ان قرآن) أى قراءة صلاة (الفجر كان مشهودا) لطائفتى الملائكة فيصعدون بها مع هذه البركات ليتم لك الاستنارة فى ابتداء ظهور النور ثم لا يزال يزداد (و) استكمل الفرائض بنوافل الليل (من الليل) أى بعضه (فتهجد) أى اترك النوم (به) لتصلى فيه (نافلة) أى زائدة على الفرائض مفيدة (لك) نورا عظيما فوق ما يفيد غيرك (عسى) أى قرب رجاء (أن يبعثك ربك) الذى هو مجمع أنوار سائر الاسماء (مقاما) هو مقام الشفاعة (محمودا) يحمده الكل لاختصاصه بفيضان النور على أهل القصور اذا كانوا قابلين للكمال فاذا كان لك تحصيل هذا المقام الذى يستفيض منه النور من الله بلا واسطة وتفيض على من سواك فاى حاجة لك فى الهجرة الى مقام الانبياء لتستفيد منهم أنوارهم (و) هذه العبادات لا توصلك الى المقام المحمود الا اذا صدق دخولك فيها وخروجك عنها ولا يتم الا بامداد الله بعد استمدادك منه (قل رب أدخلنى) فى هذه العبادات (مدخل صدق) بمشاهدتك فى هذه العبادات ورؤيته كونها من فعلك وان كانت صفة العبادة منها منى وتخليتى عن الرياء والعجب وتصفيتى باخلاص العمل واخلاص طلب الاجر ورؤية المنة لله ورؤية التقصير فيها (وأخرجنى) عنها (مخرج صدق) فلا تستعملنى ما يحبطها على ولا تردنى على نفسى (و) اذا غلبنى الشيطان أو النفس أو الخلق أو وردت على شبهة (اجعل لى من لدنك) لا من عند عقلى وفكرى (سلطانا) أى حجة (نصيرا) ينصرنى على ما ذكر ليبقى على عبادتى فيوصلنى الى المقام المحمود (و) اذا تجلى لك الحق فى هذه العبادات لا تدع لنفسك الالهية بل (قل جاء الحق) أى تجليه على القلب (وزهق) أى ذهب الوجود (الباطل) فى نفسه وهو وان اعتقد ثبوته قبل ذلك لم يكن ثابتا بل (ان الباطل كان زهوقا) لكن لم يظهر زهوقه الا بعد حضور التجلى الشهودى للحق (و) لا يبعد ان يكون التجلى الشافى عن مرض الاعتقاد الباطل من ثبوت الوجود لما سوى الله مقتضيا فى حق البعض الى دعوى الالهية فانا (ننزل من القرآن ما هو شفاء) عن الشبهات (ورحمة) ببيان الحقائق واقامة البراهين (للمؤمنين و) مع ذلك (لا يزيد الظالمين) بجعل الشبهات دلائل قاطعة وجعل الدلائل القاطعة شبهات (الا خسارا) اذ يخسر مع خسارة الاعتقاد الدلائل أيضا (و) لا يبعد ان يكون سبب الشفاء والرحمة سببا للخسارة فانا (اذا أنعمنا على الانسان) ليتقرب بشكره الينا ويستزيد انعامنا عليه (أعرض) ليكون سببا للبعد عنا كيف (و) قد (نأى) أى بعد من أخذه (بجانبه) فرجحه على جانبنا (و) لا يقبل بعد ما لان الشئ انما يعالج بضده وهو (اذا مسه الشر كان يؤسا) وهو أيضا سبب البعد كذلك يعرض الانسان عن شفاء القرآن ويأخذ برأيه واذا وقعت له فيه شبهة يئس من حلها فان زعموا ان الانعام بالقرآن على مثل هؤلاء يكون عبثا (قل) لا عبث فيه اذ يظهر استعداد المنعم عليه للثواب والعقاب اذ (كل) ممن أنعم عليه بالقرآن (يعمل على شاكلته) أى هيئة روحه الحاصلة له من استعداد حقيقته وليس طالب هذا الظهور لتحصيل علم الحق (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) وممن هو أضل بل لالزام الحجة (و) اذا منعوا استعدادات الحقائق وهيآت الارواح (يسئلونك عن

(قوله عز من قائل ما هو شفاء) من هول ما هم فيه (قوله عز وجل شوبا من حميم) أى خلطا من حميم (قوله جل وعز شاكلته) أى مثله وضربه (قوله تعالى شرع لكم من الدين) أى فتح لكم

(الروح) ليتميز عن الحقيقة وهيئتها واستعدادها (قل) الحقائق واستعداداتها أمور عدمية تعلق بها العلم الالهى فكانت ثابتة فيه لافى الواقع اذ (الروح) وهياته أمر وجودى حصل (من امر ربى) بلا واسطة مادة فلم يكن لها شكل ولا مقدار ولا دخول فى البدن ولا خروج عنه ولا اتصال به ولا انفصال عنه وهذا انما يفهمه من تبحر فى علم الحقائق (و) لكن (ما أوتيتم) شيأ (من العلم الا قليلا و) بمقتضى قلة علمكم (لئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) من المشتمل على الحقائق الغامضة لكن لو ذهبنا به فاتك وكمل أصحابك علمها (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) يطالبنا به اذ لا طريق الى علم الحقائق سوى الوحى الالهى (الا رحمة من ربك) فانها كالوكيل لك لو لم ينزل عليك القرآن لكن لا بطريق الايجاب بل بطريق التفضل (ان فضله كان عليك كبيرا) فلو قطع عنك القرآن لتفضل عليك بطريق آخر فان قالوا فلم يتفضل عليك بطريق آخر بل عين القرآن (قل) ان فضله بانزال القرآن ليس كفضله بطريق آخر لان القرآن جامع لما لا يتناهى من الحقائق وغيره ليس كذلك لذلك (لئن اجتمعت الانس والجن) المتفرقون زمانا ومكانا مع اختصاصهم بالعلوم الجليلة الدقيقة (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) المشار اليه بالاشارة القريبة اقرب مأخذ حقائقه ودلائله ورفع شبهاته (لا يأتون بمثله) لان غايتهم افادة أمور متناهية والقرآن مشتمل على ما لا يتناهى فلا يتصور حصولها منهم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا سيما بعبارة اليق من النظم والنثر مخالفة لاسلوبها (و) لا يخل باعجازه تكرار لاخبار فيه مع اختلاف العبارات فانا (لقد صرفنا) أى أوردناه على انحاء مختلفة (للناس) الغافلين عن بعض الفوائد من عبارة ليتذكرها من أخرى ولا بد من جميع الفوائد (فى هذا القرآن) الجامع لها سيما فى الامور الجليلة (من كل مثل) أى أمر عجيب يضرب به المثل لكن المبالغة فى جميع الفوائد افضى بالعامة لقصور نظرهم على ظاهر التكرار الى انكار الاعجاز (فأبى) أى امتنع (أكثر الناس) ان يستفيدوا شيأ من تلك الفوائد (الا كفورا و) حين كفروا باعجاز القرآن الذى لا مجال لتوهم السحر فيه وقد توهموه فى سائر المعجزات الفعلية (قالوا لن نؤمن لك) أى لا نأتك (حتى تأتى) بما يشبه الثواب الاخروى مثل ان (تفجر) أى تشق (لنا) أى لزراعتنا وغرسنا على العموم (من الارض) أى ارض مكة (ينبوعا) أى كثير الماء (أو تكون لك) على الخصوص (جنة من نخيل وعنب) لا تتكلف فى سقيها (فتفجر الانهار خلالها) أى فى أوساطها لتصل الرطوبة الى الكل (تفجيرا) لم يعهد مثله فى كثرة الماء والسقى من غير عمل (أو) تأتى بما يشبه العقاب الاخروى مثل ان (تسقط السماء كما زعمت) ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (علينا كسفا) أى قطعا (أو تأتى بالله) الذى هو خالق الثواب والعقاب (والملائكة) الذين هم أسبابهما (قبيلا) أى ضامنا بصدق قولك فيصير واضامنين بالثواب والعقاب فكأنك جئت بعينهما فلا حاجة الى الاتيان بما يشبههما (أو يكون لك) اذا لم تأت بما يشبه الثواب والعقاب

وعز فكم طريقه (قوله جل وعز شريعة من الامر) أى سنة وطريقة (قوله سبحانه شطأه) فراخه وصغاره يقال اشطأ الزرع اذا أفرخ وهذا مثل ضربه

ولا

ولا بما يقوم مقام عينهما ما يظهر به فضلك علينا المانع لنا من الكذب امافى الارض بان يكون لك (بيت من زخرف) أى من جنس ما يتزين به كالذهب والفضة والجواهر (أو) فى السماء بان (ترقى فى السماء) فتكلم ربها وبكلمك فيرسلك الينا (ولن نؤمن لرقيك) لاحتمال انك سحرت اعيننا بذلك (حتى تنزل علينا كتابا) لايذهب مرة بل لانزال (نقرؤه قل) هذه الاشياء انما تقترح على من يدعى كمال القدرة لكن (سبحان ربى) من ان يشاركك فى قدرته فان قدر على مثلها غيره فلا يقدر البشر الكنى (هل كنت الابشرا) لايخلو من عجز وان كنت (رسولا) ولما اعتذر عن عدم اتيانه بالآيات المقترحة بكونه بشرا جعلوه المانع من الايمان فقال تعالى (ومامنع الناس أن يؤمنوا) بالرسل مع تحقق سببه (اذجاءهم الهدى الا) مايصلح للمنع وهو (أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) مع انه لابد من مناسبة الرسل للمرسل (قل) اعتبار المناسبة بين الرسل والمرسل اليهم أولى من اعتبارها بين الرسل والمرسل فعلى هذا (لو كان فى الارض ملائكة يمشون) ولا يطيرون الى السماء (مطمئنين) لايخافون من الله ولا يطلبون مزيد القرب منه مع قابليتهم لذلك (لنزلنا عليهم من السماء) لاتصافه بغاية الكمال الممكن لهم (ملكا رسولا) يكلمهم ويخوفهم فان زعموا انه لابد من بعثة الملك ليكون شاهدا للرسول على صدقه (قل كفى بالله شهيدا) وقد شهد باظهار المعجزات شهادة قاطعة للنزاع (بينى وبينكم) ولا كذب فى شهادته لانه نقص فلا يتصور فى الشهادة الناشئة من صفات الكمال كالخبرة والبصر (انه كان بعباده خبيرا بصيرا و) شهادة المعجزة وان كانت بخلق علما ضروريا عقيبها فلا يهتدى بها الكل كما لايهتدى بما يعرف كونه هدى فى نفسه بل (من يهد الله فهو المهتد) سواء هداه باسباب أو بدونها (ومن يضلل) الله (فلن تجد لهم أولياء) من الاسباب اذلا تأثير لها (من دونه) أى من دون عنايته لكن لاعناية له باهل الضلال وان خلقهم مرفوعى الوجوه ناطقين بصراء سامعين بل لما لم يشكروا هذه النعم اذ صرفوها الى غير ما خلقت له عكس عليهم الامر (و) لذلك (نحشرهم يوم القيامة) الذى يتصور فيه المعانى الحاصلة من التصرفات الانسانية منكسين (على وجوههم) لتنكبهم الآيات العالية (عميا) لايبصرون مافيه نجاتهم اذلم يبصروا حقائق الآيات (وبكما) لاينطقون بما فيه نجاتهم اذلم ينطقوا فى الدنيا بمقتضى الآيات (وصما) عما فيه راحتهم اذلم يسمعوا الآيات ولو سمعوا الايزالوا يزدادون عنادا لذلك (مأواهم جهنم كلما خبت) أى طفئت فى حقهم عند احتراق جلودهم ولحومهم (زدناهم) بتجديد اللحوم والجلود (سعيرا ذلك جزاؤهم) لا على الاضلال بل على اختيار الضلال المستعقب للاضلال من الله (بانهم كفروا بآياتنا) فجعلوها من قبيل السحر النازل (و) لم يستعملوا فيها أبصارهم ولا سمعهم ولا السنتهم بل (قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) أى أنبعث اذا تلف لحمنا وبقينا عظاما بل رقت عظامنا فصارت رفاتا (أئنا لمبعوثون) أى لم يتحقق كوننا مبعوثين فان تحقق لم نكن معادين بل (خلقا جديدا) وكما عطلوا

الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج وحده ثم قواه الله عز وجل باصحابه

قوله عز وجل (شديد القوى) يعنى جبريل عليه السلام وأصل القوى من

النظر الى الآيات المنزلة على زعم انها مصر عطاوه فى سائر الآيات أيضا (أولم يروا) فى آيات الآفاق التى لا مجال للسحر فيها (ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) مرة بعد أخرى بطريق الاعادة فالقدرة التى هى سبب الوجود محققة (و) لا تحقق للمانع اذ لا يصلح عدم جريان السنة الالهية مانعا وغيره ليس بمانع اتفاقا اذ (جعل لهم أجلا لا ريب فيه) أى فى كونه حكمة اذ لو جرت العادة بذلك لم يبق للتكليف وجه ولو ترك صار ظلما لكنهم لظلمهم لا يعتبرون الحكمة و يجوزون الظلم (فابى الظالمون الا كفورا) بالقدرة الالهية فان زعموا انهم لا ينكرون القدرة الالهية وانما يمنعونه لعدم جريان السنة الالهية بذلك (قل) يدل على انكاركم القدرة توهمكم عجز الله ان يؤتيكم الرزق مع تكرر اعطائه اياكم لذلك تفرطون فى البخل بحيث (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الذى هو أوسع الاسماء الالهية مع انه لا ينصور نفاد خزينته من خزائنه الجزئية (اذا) أى حال ملككم لها (لامسكتم) أى بخلتم (خشية الانفاق) اى نفاد تلك الخزائن بلا عوض لعدم اعتمادكم على قدرة الله (و) لو اعتمدتم ما تركتم بخلكم أيضا اذ (كان الانسان قتورا) بالطبع والامور الطبيعية لا تفارق بالدلائل العقلية (و) يدل على عدم وجدان الضال أوليا من دون الله وعلى اباء الظالمين الا الكفور وعلى قتورية الانسان بالانفاق فوق قتوريته بالمال انا (لقد آتينا موسى تسع آيات) غاية عدد الافراد (بينات) ظاهرة الدلالة على القدرة الالهية وهى حل العقدة من اللسان والعصا واليد البيضاء والسنون والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فان شككت فيها فاسئل عنها (فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم) بتلك الآيات فشاهدها قدماؤهم وسمع بالتواتر متأخروهم (فقال له فرعون) الضال الظالم الآبى القتور بالانفاق الذى لم يزده آيات موسى سوى الكفور (انى لاظنك يا موسى مسحورا) أى مجنونا جنون المسحور لادعائك الرسالة المستحيلة وان لم تكن مسحورا كنت ساحرا فى اتيان الآيات (قال) موسى (لقد علمت) من علمك بغاية ما يبلغه السحر لغلبته فى زمانك ومكانك (ما أنزل هؤلاء) الآيات من السموات الى الارض (الا رب السموات والارض) لا للتلبيس لكونها (بصائر) تبصرك وقومك صدق (وانى لاظنك) فى عنادك من سلطنتك (يا فرعون مثبورا) أى ملعونا تبعد عن ملك الدارين فلما ظهرت حجته خاف ايمان قومه به (فأراد أن يستفزهم) أى يزعجهم بالقهر (من الارض) أى أرض مملكته فهربوا منه فوقع البحر فى البين فشقه بضرب عصاه فعبروه فتبعهم فرعون وقومه (فأغرقناه ومن معه جميعا) لئلا يبقى منهم من ينازع بنى اسرائيل (وقلنا من بعده) أى بعد اهلاكهم (لبنى اسرائيل) الذين أراد ان يستفزهم من الارض (اسكنوا الارض) أخذا بثأر المكم عليهم ولا تستوفون المظالم بذلك بل يبقى بعضها الى الآخرة (فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) أى مختلطين يتعلق المظلوم بالظالم (و) لابد من مجىء هذا الوعد لانه (بالحق) أى الدليل القطعى من نصوص الكتب الالهية (أنزلناه وبالحق) الذى هو اثبات نظام العالم على اكمل الوجوه (نزل) وكيف يكذب هذا الوعد (وما أرسلناك) أيها

قوى الحبل وهى طاقاته واحدتها قوة (قوله عز وجل شوى) جمع شواة وهى جلدة الرأس (قوله عز وجل شامخات) أى عاليات

الكامل الذى لايتصور منه الكذب لولا المعجزات وقد يتأيد بها صدقك (الامبشرا) به لاهل الصلاح (ونذيرا) لاهل الفساد (و) الاقار نا (قرآنا) هو ترجمة كلامنا الازلى الذى لامجال لنقيصة الكذب فيه ولايخل بذلك تفريقه اذ (فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) أى على مهل ليتقرر فى قلوبهم (و) هو وان كان ترجمة كلام واحد لايقبل التفريق صار نا بلا له اذ (نزلناه) مرتبة بعد مرتبة (تنزيلا) واصلا الى عالم التفصيل فان زعموا ان الكلام الازلى غير قابل لهذا التنزيل (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فانه يستوى ايمانكم وعدمه لجهلكم بالحقائق (ان الذين أوتوا العلم) فعلموا قابليته لهذا التنزيل لاحاطتهم بالحقائق (من قبله اذا يتلى عليهم) فعلموا اشتماله على تلك الحقائق (يخرون) أى يسقطون ملصقين (للاذقان) أى الوجوه بالارض (سجدا) أى خاضعين (ويقولون) فى مطابقته ما وعد فى كتبه (سبحان ربنا) من أن يكذب شئ من مواعيده (ان) أى انه (كان وعد ربنا لمفعولا و) بعد الانقياد لحقيته (يخرون للاذقان) فى العمل به (يبكون) خوف العقاب وفوات الثواب (ويزيدهم) كل نظر فيه وسماع له وعمل به (خشوعا) فان زعموا انه لو كان نازلا من الله لكان داعيا الى الله فلم يكن فيه شائبة شرك لكنه يأمر تارة بدعوة الله وتارة بدعوة الرحمن (قل) ليس هذا بشرك بل غايته بيان دعوته بالوجوه الكثيرة بحسب اختلاف المطالب (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) ولايختص دعوته بهذين الاسمين لكثرة الاغراض الجزئية بل (أياما) أى أى اسم من أسمائه (تدعوا) أوصلك الى مطلوب من غير شرك فى ذاته (فله الاسماء الحسنى) أى الكاملة الموصلة الى المقاصد (و) يعينك فى الايصال الى المطالب الصلاة ذات الخشوع سيما اذا اجتمع عليها القلوب لذلك (لاتجهر بصلوتك) لئلا تخل بالخشوع (ولا تخافت بها) أى ولا تبالغ فى الاخفاء بحيث لايسمعها من خلفك فيفوتك فائدة الاجتماع بهم (و) بالجملة الاخذ بالاوساط يفيد تزكية النفس عن الاطراف التى هى الرذائل لذلك (ابتغ بين ذلك سبيلا) ليكون داعيا لك الى التوسط فى الاخلاق ليفيدك التزكية والتصفية المقربة للمشاهدة الكاشفة عن الحقائق التى بها الاعجاز من حيث لاتناهيها (و) هذه العبادة انما تفيدك هذه المشاهدة لو خلت عن العجب والرياء لذلك (قل الحمد لله) على انه منّ على بهذه العبادة بلا شرك فيها اذ بالغ فى نفيه لانه (الذى لم يتخذ ولدا) وكيف يتخذه وهو اما للشرك أو الاستعانة (ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى) يعينه (من الذل) ليتعزز (و) لاتجعل العبادة مفيدة له عزة بل (كبره) من ان يستفيد من أحد شيأ (تكبيرا) بانه وان استحق المحامد من الكل فلم يستفد تلك المحامد من شئ بل له تلك المحامد من ذاته فافهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

ومنه شمخ بانفه (قوله تعالى شفق) الشفق الحمرة بعد مغيب الشمس (قوله عز وجل شاهد ومشهود) قيل الشاهد يوم الجمعة

(سورة الكهف)

سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الايمان بالله من الامن الكلى عن الاعداء والاغناء الكلى عن الاشياء والكرامات العجيبة وهذا من أعظم مقاصد القرآن